

المزيد | المراءة والطبيعة في أعمال 30 فناناً لبنانياً
بيروت - لوريس الرشعيني



احتضن سنتر «Dune» في شارع فردان في بيروت مؤخراً معرضاً جماعياً شارك فيه 30 رساماً تشكيلياً من أساتذة وهواة الفن التشكيلي، محاكين في أعمالهم مواضيع شتى قُدمت من خلال رؤية تشكيلية متنوعة ومدارس فنية مختلفة. وعلى رغم عدم اتفاق الرسامين مسبقاً على خطة أو مواضيع محددة، فإن المصادفة جعلتهم يجتمعون عموماً على خط عريض واحد في معالجة موضوعي الطبيعة والمرأة، والدمج والربط بينهما، بالإضافة إلى مواضيع التراث والتنوع في المخزون الثقافي، وقد لوحظ وجود اللمسة الهندسية والتكعيبية في كثير من الأعمال.

افتتح المعرض برعاية رندة بري عفيفة رئيس مجلس النواب نبيه بري، وبحضور عدد من الشخصيات السياسية والاجتماعية والثقافية، ورسم الفنان اللبناني برنارد رينو لوحة طبيعية مباشرة أمام الحاضرين، ساهمت بري بإضافة بعض الألوان عليها، وفي النهاية قدم رينو اللوحة لها «تذكر مودة وتقدير»، واعتبر رينو «أن الطبيعة والمرأة هما أعظم عنصرين في الكون، لأنهما يشتركان بولادة الحياة واستمراريتها». ولذلك غلب على أعماله محاكاة الموضوعين، وهو يصور المرأة بجمالها الأنثوي غير المبتذل، وكثيراً ما يغيب ملامح وجهها من لوحاته ورغم ذلك تبقى الأنوثة صارخة تنضح بها اللوحة، كما نلتمس القوة في امرأة برنارد رينو، حيث يرى فيها أقوى المخلوقات، فيبتعد عن التقليد الذي اعتاده الفن في معالجة موضوع المرأة كعامل في الحقل، أو حائكة للصوف، أو من خلال وظيفتها الكونية الطبيعية كأم تربي طفلها، ويذهب إلى مواكبة التطور الذي طرأ على دور المرأة وأهميتها في عجلة الحداثة وبناء الحضارات، حيث باتت على قدم وساق مع الرجل لا بل تفوقت عليه في كثير من الأحيان

وفي مجالات عدة.

ويقول رينو إن الفنان مهما بلغ من العلم والمهارات التقنية لا يمكنه اكتشاف أسرار الطبيعة وتجسيدها، ومهمته الفنية تكمن في الابتعاد عن رؤية الطبيعة بعين الكاميرا، وإنما بروح الإنسان وبصمة إحساسه الخاصة التي تضيف الحياة والنطق للوحة، وبهذا يقترب برنارد من المدرسة التعبيرية والانطباعية في لوحاته، ولكنه يعالج منحاه الكلاسيكي هذا بطريقة حديثة جداً تظهر بصمته الخاصة في أي لوحة تخصه، حتى ولو لم تحمل توقيعاً.

ويعتمد في عمله الفني على الألوان الزيتية التي تتميز بلمعانها وتضفي باستعمالها رونقاً خاصاً، بالإضافة إلى أنها ألوان معبّرة تعيش محافظة على قوامها وخصوصيتها، بما يزيد على ألف سنة. ولا يوفر رينو استعمال أي لون، فكل الألوان حاضرة في لوحاته، يزوج بينها بطريقة يتفوق فيها لون على الآخر، فتبرز هويته بشكل أوضح، مستعملاً الريشة والسكين بشكل أساسي لتعتيق اللوحة وإعطائها ذلك الطابع القديم الراقى.

أما الفنانة نتالي جبيلي، المشاركة في المعرض بـ36 لوحة، فحرصت في أعمالها على تجسيد التراث اللبناني والحضارة الفينيقية وشعائرها، فنرى البحر بنقاوة زرقته واتساع مساحته، لا ينأى عن الطبيعة المحيطة وحياة البشر على اليابسة، فمياهه تعكس صورة الثلوج على الجبال، ليقترّب بذلك ويلتحم مع ضجة الحياة. وبالإضافة إلى المساحة الواسعة المخصصة لمعالجة ومحاكاة الحضارة الفينيقية بأوجه عدة، هنالك مساحة مقابلة للتراث اللبناني المهدد بغزو الحداثة والاندثار تحت وطأة عجلتها، فتجسد الفنانة جبيلي في كثير من لوحاتها فن الهندسة والعمارة القديم، والبيوت البيروتية القديمة بحجرها ونوافذها العالية، والقطار، والجنائن المرافقة، تجاور البناء الحديث شاهق العلو مكتظ الطوابق، وكأنه مارد يهدد البساطة والدفء والحميمية. ويظهر في لوحات جبيلي التجريد التعبيري، فهي تبتعد عن التجريد المبهم غير المقروء وتحرص على إيصال الفكرة للمتفرج.

الحضور البارز كان لأعمال للفنان جورج واكيم وهو نحّات، يعشق الشمع والعمل عليه، ويعيش حياته الخاصة في عالمه الشمعي مع منحوتاته النقية الشفافة البعيدة عن قناع الزيف الإنساني والرواسب الاجتماعية، فهو يقول: «أنا أرفع القناع عن الطبيعة الإنسانية وأعيدها إلى برائتها وفطرية خلقها وطبيعتها».

ولا يمعن جورج الإبحار في عالمه الخاص، فكثيراً ما يسלט الضوء على الآفات الموجودة في الناس والمجتمع، فنرى مثلاً الإنسان المدخن للرجيلة، وقد تدلت شفته بشكل نافر لكثرة ما يقضيه من وقت، وشفته تحتضن مبسم الرجيلة، كما يعطي الشخصيات صفات حيوانية، فالشخص البسيط الطيب يجسده بالفيل الأبيض، الذي يراه أبسط وأطيب الحيوانات وأكثرها مسالمة، وهكذا نجد الشخص القرد والهر وغيره.